

د . سيف عبد الفتاح يكتب : أتى أمر الله فلا تستعجلوا



الاثنين 25 أغسطس 2014 م 12:08

من عجائب عطاءات كتاب الله الأمر الذي يتعلّق بمنظومة السنن التي تحدّم حركة الإنسان فكراً وعملـاً، كونـا ونفسـاً، تارـيـخـاً واجـتمـاعـاً و مجـتمـعاً، تلك المنظومة التي تعـبر عن كـعـالـات وعـيـ الإنـسـان وـقـدرـاتـ سـعـيـهـ، بـيـنـ الـوعـيـ بـالـسـنـنـ وـالـسـعـيـ بـهـاـ وـلـهـاـ يـقـعـ هـذـاـ الـأـمـرـ الـذـيـ يـشـيرـ إـلـيـهـ القرآنـ فـيـ آـيـاتـهـ "أتـىـ أمرـ اللهـ فـلاـ تـسـتـعـجـلـوهـ"ـ إنـهـ أـمـورـ تـشـتمـلـ عـلـيـهاـ هـذـهـ الـكـلـمـاتـ الـقـلـيلـةـ الـمـبـنـىـ،ـ الغـزـيرـةـ الـمعـنـىـ،ـ الـفـيـاضـةـ الـمـغـزـىـ؛ـ تـعـبـرـ عـنـ تـصـحـيـحـ الـوعـيـ بـالـزـمـنـ لـدـيـ عـمـومـ النـاسـ حـيـنـماـ يـسـتـبـطـئـونـ الـثـائـجـ،ـ وـيـسـتـعـجـلـونـ جـنـيـ الـثـمـارـ فـيـذـكـرـ اللهـ سـبـانـهـ وـتـعـالـىـ بـالـسـنـنـ الـقـائـمـةـ الـمـاضـيـ فـيـ تـدـاخـلـ الـزـمـنـ الـحـاضـرـ وـبـامـدـادـاتـهـ وـبـاستـشـرافـ أـفـقـ الـمـسـتـقـبـلـ،ـ حـلـقـاتـ الـزـمـنـ تـتـابـعـ،ـ وـالـسـنـنـ تـعـمـلـ عـلـيـهـاـ،ـ وـالـإـنـسـانـ عـلـيـهـ أـنـ يـدـرـكـ أـصـوـلـ الـوعـيـ وـمـسـالـكـ السـعـيـ؛ـ فـيـتـحـرـكـ بـذـلـكـ رـاشـدـاـ فـيـقـعـ فـيـ عـقـلـهـ وـسـعـيـهـ الـزـمـنـ مـوـقـعـهـ وـمـقـاهـهـ مـنـ نـفـسـهـ وـمـنـ فـكـرـهـ وـتـفـكـيرـهـ وـمـنـ عـمـلـهـ وـتـدـبـيرـهـ،ـ وـحـرـكةـ تـغـيـرـهـ وـتـأـثـيرـهـ إـنـهـ يـحـركـ عـنـاصـرـ الـفـاعـلـيـةـ حـيـنـماـ تـتـدـافـعـ عـلـىـ إـدـرـاكـاتـهـ الـمـعـانـيـ الـتـيـ تـتـعـلـقـ بـاـسـتـبـطـاءـ الـنـصـرـ،ـ وـاستـعـجـلـاـنـ الـثـمـرـةـ،ـ وـلـكـنـ الـقـرـآنـ يـؤـكـدـ عـلـىـ الـإـنـسـانـ فـيـ إـدـرـاكـهـ لـهـذـاـ التـوـاـصـلـ وـالـاتـصـالـ الـزـمـنـيـ فـيـ الـسـنـنـ وـعـيـاـ وـسـعـيـاـ فـيـؤـكـدـ "أتـىـ أمرـ اللهـ فـلاـ تـسـتـعـجـلـوهـ"ـ.

يـظـنـ قـصـيـرـوـ النـظـرـ أـنـ الـيـوـمـ هـوـ نـهـاـيـةـ الـعـالـمـ وـخـتـامـ الـقـصـةـ،ـ وـأـنـ سـنـةـ اللهـ تـعـالـىـ هـيـ اـنـتـظـارـ الـظـلـمـ وـالـظـالـمـينـ،ـ كـمـاـ يـرـونـ فـيـ أـفـلـامـ الـواقـعـيـةـ السـوـدـاءـ،ـ وـمـاـ هـيـ إـلـاـ وـقـوعـيـةـ حـمـقـاءـ،ـ يـؤـسـسـ لـهـاـ أـصـحـابـ الـأـفـقـ الـمـعـدـودـ وـالـصـدـورـ الـضـيـقةـ وـالـأـنـفـاسـ الـمـعـقـطـعـةـ لـكـنـ الـحـيـاةـ وـسـنـنـهـاـ فـيـ الـنـفـسـ وـالـتـارـيـخـ وـالـاجـتمـاعـ وـالـسـيـاسـةـ وـالـكـوـنـ تـقـولـ عـكـسـ ذـلـكـ وـتـؤـكـدـ غـيـرـ هـذـاـ وـالـوـاقـعـ الـيـوـمـ لـاـ يـقـرـرـ لـبـلـائـسـينـ الـقـانـطـينـ بـمـاـ هـمـ فـيـهـ مـنـ كـفـرـ خـفـيـ بـسـنـنـ اللهـ تـعـالـىـ الـقـاضـيـةـ الـمـاضـيـةـ

ما يـجـريـ الـيـوـمـ فـيـ بـلـادـنـاـ الـعـرـبـيـةـ وـفـيـ قـلـبـهـاـ مـصـرـ لـيـسـ مـجـدـ مـظـلـمـةـ تـقـعـ مـنـ ذـيـ سـلـطـانـ عـلـىـ مـوـاطـنـ غـلـبـانـ،ـ أوـ سـيـاسـةـ قـمـعـيـةـ باـطـشـةـ عـلـىـ فـصـيـلـ مـعـارـضـ تـقـتـلـ وـتـحـرـقـ وـتـعـتـقـلـ وـتـسـتـبـيـحـ الـنـفـسـ وـالـعـرـضـ،ـ وـلـاـ عـمـلـيـةـ تـهـيـرـ سـيـاسـيـ تـؤـازـرـهـاـ عـمـلـيـاتـ شـيـطـنـةـ وـتـسـمـيـمـ الـعـقـلـ الـجـمـعـيـ وـالـتـقـاـفـةـ الـعـامـةـ،ـ وـلـاـ تـحـالـفـاتـ مـتـصـهـيـنـةـ ضـدـ الـثـورـاتـ وـمـقاـوـمـةـ وـخـمـائـرـ الـعـزـةـ وـدـرـوـعـ الـكـرـامـةـ وـأـشـوـاقـ الـحـرـيـةـ وـمـطـالـبـ الـعـدـالـةـ لـاـ ..ـ الـأـمـرـ أـكـبـرـ مـنـ ذـلـكـ،ـ فـعـلـيـ الضـفـةـ الـأـخـرـىـ شـعـوبـ وـقـوـيـ غـيـرـ قـلـيلـةـ وـلـاـ ضـئـيلـةـ وـلـاـ ذـلـيلـةـ تـتـأـبـيـ عـلـىـ الـكـسـرـ،ـ وـتـصـرـ عـلـىـ الـنـصـرـ

هـذـاـ مـاـ يـجـبـ الـالـتـفـاتـ إـلـيـهـ:ـ شـعـوبـ عـرـبـيـةـ مـعـتـلـةـ شـوـقـاـ إـلـىـ التـحرـرـ،ـ وـمـصـرـةـ عـلـىـ الـاسـتـعـمـارـ وـالـمـواـصـلـةـ وـتـقـديـمـ التـضـيـيـعـاتـ،ـ وـقـدـ فـعـلـتـ وـهـيـ لـاـ تـزالـ تـفـعـلـ،ـ وـالـطـرـيقـ أـمـاـهـاـ فـيـهـ مـنـ الـبـشـائـرـ وـالـمـحـفـزـاتـ الـكـثـيـرـ الشـيـابـ عـمـادـ الثـورـاتـ،ـ وـهـذـهـ وـحـدهـاـ كـافـيـةـ فـيـ بـيـانـ أـنـ الـمـسـتـقـبـلـ لـلـتـغـيـيرـ،ـ وـانـ الـمـسـتـقـبـلـ لـلـشـعـوبـ الـتـيـ تـسـانـدـ شـبـابـهاـ،ـ وـأـنـ قـوـيـ الـإـبـادـعـ الـحـقـيـقيــ وـقـوـيـ الـحـرـكـةـ الـسـرـعـةـ الـمـجـدـةـ،ـ وـقـوـيـ الـتـشـبـيـكـ وـالـاتـحـادـ،ـ وـقـوـيـ الـتـوـاـصـلـ مـعـ الـجـمـيعـ وـمـعـ الـعـصـرـ،ـ وـقـوـيـ الـاجـتـهـادـ وـالـجـهـادـ،ـ وـقـوـيـ الـتـحـمـلـ وـالـمـصـابـرـةـ،ـ وـقـوـيـ الـصـلـاحـ وـالـيدـ الـنـظـيـفـةـ،ـ وـقـوـيـ الـإـلـاـصـ وـالـأـوـطـانـ وـالـأـمـةـ،ـ وـقـوـيـ الـاسـتـقـامـةـ الـخـلـقـيـةـ وـالـقـيمـيـةـ،ـ وـقـوـيـ الـوضـوحـ فـيـ الـهـدـفـ وـالـطـرـيقـ لـكـلـ هـذـهـ الـقـوـيـنـ فـيـ صـفـ الـثـورـةـ وـالـمـقاـوـمـةـ

هـذـاـ بـيـنـمـاـ قـوـيـ الـثـورـةـ الـمـضـادـةـ وـالـمـتـصـهـيـنـونـ الـجـدـدـ عـبـارـةـ عـنـ نـظـمـ شـائـخـةـ سـاقـطـةـ فـيـ ذـاتـهاـ قـبـلـ أـنـ يـسـقطـهـاـ غـيرـهـاـ،ـ لـاـ تـسـتـندـ إـلـاـ عـلـىـ مـيرـاثـ قـدـيمـ لـمـ تـعـدـ عـمـلـتـهـ رـائـجـةـ،ـ وـعـلـىـ قـوـيـ بـطـشـ قـصـيـرـةـ الـأـنـفـاسـ،ـ بـلـيـدـةـ الـإـحـسـاسـ،ـ ضـعـيـفـةـ الـتـفـكـيرـ وـالـتـدـبـيرـ،ـ مـفـلـسـةـ مـنـ أـيـ جـدـيدـ يـمـكـنـ أـنـ تـجـمـعـ عـلـيـهـ النـاسـ وـسـائـلـ الـإـلـاعـمـ وـالـقـضـاءـ وـالـبـطـشـ الـمـسـلـحـ وـالـتـكـيـلـ هـيـ (ـدـقـةـ قـدـيمـةـ)ـ وـفـيـلـمـ هـابـطـ لـاـ سـوقـ لـهـ

قد تـمـ فـترـاتـ مـنـ الـفـتـورـ وـتـغـشـيـ النـاسـ سـنـةـ مـنـ نـومـ أـوـ نـعـاسـ الـأـمـنـةـ،ـ فـتـرـةـ يـعـقـبـهـاـ النـشـاطـ بـكـامـلـ الطـاـقةـ وـالـفـاعـلـيـةـ فـيـ التـمـكـينـ لـلـتـغـيـيرـ وـالـتـأـثـيرـ لـكـنـ عـالـىـ الزـمـنـ فـيـ صـالـحـ الـثـورـاتـ وـقـوـيـ الـتـغـيـيرـ إـذـاـ هـيـ صـابـرـتـ وـأـصـرـتـ عـلـىـ اـسـتـكـمالـ ثـورـاتـهـ،ـ وـتـقـدـيمـ الـقـلـيلـ مـنـ التـضـيـيـعـاتـ لـاـقـتـحـامـ الـعـقـيـةـ وـفـكـ الـرـقـبةـ

إنـ اـنـتـصـارـ تـونـسـ الـمـاضـيـ قـدـمـاـ بـإـذـنـ اللهـ،ـ وـانـتـصـارـ غـزـةـ وـفـلـسـطـينـ كـلـهـاـ عـلـىـ تـضـيـيـعـاتـهـاـ،ـ وـانـتـصـارـ تـرـكـياـ لـرـمـزـهـاـ،ـ وـانـتـصـارـاتـ دـعـةـ الـحـرـيـةـ وـرـعـاهـةـ الـعـدـالـةـ فـيـ كـلـ مـكـانـ إـنـمـاـ يـبـشـرـ بـأـنـ الـأـمـرـ أـوـسـعـ مـنـ أـنـ تـمـسـكـ بـهـ هـذـهـ الـقـوـيـةـ الـمـتـغـطـرـسـةـ مـنـ الـأـمـرـيـكـاـنـ وـالـصـهـائـيـةـ وـالـمـلـوـكـ وـالـعـسـكـرـ،ـ وـأـنـ قـلـيلـاـ مـنـ إـلـصـارـ وـالـاسـتـمـارـ كـفـيلـ بـمـعـزـيدـ مـنـ اـنـكـشـافـ سـاحـتـهـمـ وـتـرـاجـعـ صـفـوفـهـمـ وـضـرـورـةـ نـزـولـهـمـ عـلـىـ إـرـادـةـ شـعـوبـ لـاـ تـرـيدـ إـلـاـ الـحـرـيـةـ

والكرامة والحق والعدل وسائل الحقوق الإنسانية التي لا يقاء بغيرها

إن الأوهام التي يصورها هؤلاء المخذلون والمزورون للتلعب بالروع والعقول حتى تنتكس و تستسلم لأغراضهم، وما نعرفه بتلبيس إبليس لا يكون كما هو في هذه الأيام (إذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لـ غالب لكم اليوم من الناس وإنني جار لكم، فلما تراءت الفتتان نكص على عقبيه وقال إنني بريء منكم إن أرى ما لا ترون ..).

من لاحظ بالأمس خروج أحمد عز، ثم خطبة العادلي وإعلانه عودة دولتهم قد يتسرّب إليه إحباط أو يأس ويدع العيدان ويعلن استسلامه لدولة الانقلاب .. لكن من يدقق في أجواء الخزي والذلة التي تغشى ساحتهم، ومن يتأمل ضعف المستوى وهشاشة قدراتهم وسذاجة مواقفهم ومخططاتهم يدرك أن الكفة ليست في صالحهم دائمًا، وانهم لا يملكون سوى المظاهر الخداعة والنفخة الكاذبة وألاعيب الأطفال المكشوفة، وأنها مسألة وقت، وسيرون ما يوعدون

لابد في منطق السنن من انتصار الحق في النهاية، وفي السنن أن ضعفاء البصر والبصرة يرون الأمر بعيداً ويراه الله والمؤمنون قريراً، وأن العقبات لا تمنع السير، وأن التضحيات تدعم مسالك السير لا توقفه فهي مدد يحرك الطاقات، ويسسس لفاعليات، ويمكن لمستقبل ومسارات، إنها صناعة الأمل وصناعة المستقبل ضمن مسارات سعي وعمل التي تحركها هذه الكلمات القليلة "أتي أمر الله فلا تستعجلوه"، وأن الدم الغالي لا يرخص إلا بخيانته والرجوع بعد المضي، وأن التغيير طالما دخل النفوس فهو يتحرك في الأرض على عين الله وعونه، وأن الأمور بعواقبها، وأن النصر قريب، والفتح مبين، وأن مع العسر يسراً، لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً، سيجعل الله بعد عسر يسراً

هذا ليس عظاً ولا دروشة هذا حديث السنن، فرج بعد ضيق، وفتح بعد غلق، وقومة بعد ضعف، فاللقوة سقف لا يتجاوزونه، ولضعف المقاوم حد لا ينزل عنه، والأيام دول بين الناس

إن ربط ذلك بحديث الثورة وأحداثها وذلك العمل الذي ارتبط بأهل ولد يوم الخامس والعشرين من يناير في سياق شرارة ثورية أشارت من كل طريق إلى القدرة على التغيير لو توفرت له أسباب النجاح والفوز والفوز والقدرة على بناء علاقات متينة قادرة على التعامل مع الموقف بما تدركه من قيم تؤسس لمعنى اجتماع الثورة، والثورة في الاجتماع، ولكن الأمر لا يرتبط بلحظة هنا أو هناك في التاريخ وكان هذه اللحظة مرغوبة مطلوبة مالم يترافق مع تلك اللحظة وعي أمين وعمل رصين يحرك طاقات الاستمرارية ويسسس لسنن الفاعالية، وفي إطار من تدافع هو سنة الله في خلقه ستأتي الثورة العضادة تحاول أن تدفع عن مصالحها وتأتي الثورة الحقيقة تحاول أن توطد أركانها ومن خلال منظومة السنن فإن الحالة الثورية ليست أيامًا معدودة ولكنها حركة واعية مقصودة تتراكم بعملاها في سياق ما يمكن تسميتها بالملحمة الثورية في تدافع ثوري حقيقي يحرك كل طاقات مواجهة شبكات الاستبداد ومؤسسات الفساد، ومن ثم فإن الثورة ليست جولة أو معركة واحدة ولكنها عمل ممتد وجوب علينا فيه أن نتبرّص مواقع أقدامنا وخطوط مسارنا والوعي بأخطائنا والاعتبار من كل ما يحقق تأمّلين حركة العسيرة الثورية بقدراتها وأدواتها ومقاصدها وغاياتها من حقيقة أساسية وقادعة ذهبية "إن الله لا يغير ما يُغيّر حتى يغيروا ما بأنفسهم" وأن الله سبحانه وتعالى يواسي الإنسان بالعنن إذا عمل بالسنن، إنها السنن الماضية التي تحرك أصول الوعي ومدارك السعي

اليوم تتسع مساحة الطلب على الحرية، ويدفع ثمنها من يستحقها في بلادنا، وإذا دفع الثمن وجب التحصيل وإذا حث السير كان الوصول

بين المساء والصبح وقت قد يطول بالبعض، لكن فسحة الأمل تقرّبه، وإن موعده الصبح أليس الصبح بقريب؟!